

البحث عن الذهب

بقلم الأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني

وجدت صديقي ينتظرنى — كما وعد — فدخلنا معاً وجلسنا متقابلين إلى مائدة صغيرة ، وبدأنا بأيدينا ففركناها — فقد كان البرد شديداً ، وكان كلانا قد خلع المعطف والطربوش ، وكانت الحديقة دافئة ولكنه لم يكن قد مضى من الوقت ما يكفي لانتقال الدفء إلى أبداننا . ثم أكب صاحبي على البيان الذى فيه ألوان الطعام وجعل يسردها لى لئلا يتغير ما يطيب لى منها . وفرغنا من ذلك بعد طول التردد وانصرف العامل بدقته الذى دون فيه ما طلبنا . فقال صديقي وهو يميل على المائدة :

« والآن ما العمل ؟ »

قلت : « هذا هو السؤال الأبدى ! وما أظن بنا إلا أننا سنظل نسأل من ذلك طول العمر — طال أم قصر . . . المسألة مسألة حظ يا صاحبي »

فقال : « كلا . . . لا بد أن هناك وسائل كثيرة لاكتساب المال بسرعة . . . كثيرون يفعلون ذلك . . . وهذا دليل على أن الوسائل موجودة ولكننا نحن — لسبب ما — لا نهتدى إليها »

قلت : « فليكن الأمر كما تصوره ، فلست أرى أن هذا يجددنا شيئاً »

قال : « ولكن لا بد أن تكون هناك وسيلة »

قلت . « إذا كان يتفكك أو يريحك الايقان من ذلك فأيقن وأرح نفسك »

فقال وهو يهز رأسه : « نحن اثنان . . . كلانا محتاج إلى مبلغ حسن من المال . . . والحاجة ملحة ، والسرعة لا مفر منها . . . لا سبيل إلى الاقتراض لأن الذين يُقرضون يطلبون ضماناً . . . شيئاً يطمئنون به على ما لهم . . . سخافة ؟ . . . ولماذا ينبغي أن نرد شيئاً ؟؟ . . . ألسنا أحق بالمال من هؤلاء الذين لا يعرفون كيف ينفقونه ويروحون يكتزونهم ويدفنونهم في خزائنات أو في قدور يدسونها تحت الأرض . . . ؟؟ »

فضحكت وقلت : « هذه بلشفية »

قال : « لا تصدق . . . آه لو كنت غنياً . . . إذن لصارت

الدنيا أرغد وأهناً . . . »

قلت وأنا أبتمس : « ماذا كنت تصنع ؟ »

قال : « أصنع ؟ . . . أتسأل ؟ . . . كنت أضع المال فى صرر وأرى بها لمن أتوسم فيهم أنهم أهل لأن يكون فى بدم مال . . . (وأطرق شيئاً ثم رفع رأسه وقال) : هل تعرف أى زرت اليوم أختى ؟؟ . . . إنها غنية كما تعرف . . . وكيف لا تكون غنية وهى لا تنفق شيئاً ؟ فلما دخلت عليها وفتحت فى لآلتكم رفعت يدها فى وجهى وقالت : « ولا ملهم ! » ففضبت وصحت بها ونهرتها عن هذا السلوك »

قلت : « ماذا قلت لها على سبيل الزجر عن هذا السلوك الذى لا يليق بين الأخ وأخته ؟ »

قال : « قلت لها ؟ . . . قلت لها هل تظن أنها من بوليس المرور حتى ترفع يدها هكذا لأف ؟؟ شئ غريب ! فقالت بهدوء : إنها ليست هذا ، وليست كذلك فكان تسليم ! كلا لا فائدة . . . يح صوتى معها . . . أكدت لها مائة مرة أى محتاج إلى قليل من المال ، فوافقت وأكدت لى أى سأكون محتاجاً إلى هذا المال حين أخرج من بيتها . . . سلوك يطير العقل . . . فهل تسمى هذه أختاً ؟ لى أتصور أختاً بطريقة لطيفة سخية كريمة تعطينى ، وهى تعتذر ، وتغلا بدي وهى مُغضبة . . . وهكذا تكون لأخت . . . أما هذه ؟ . . . أعوذ بالله . . . على كل حال لا فائدة . . . وإنما أردت أن أقول لك إن هذا الباب أيضاً سد فى وجهى »

قلت : « لماذا لا تفكر فى طريقة لكسب المال ؟ »

قال بلهجة الاستنكار : « أفكر . . . وما الفائدة من التفكير ؟ لا فائدة ما دامت الدنيا مقلوبة . . . آه لو كان لى سلطان فى هذه البلاد . . . إذن لعقدت امتحاناً كل ثلاثة شهور للأغنياء . . . يجلس أعضاء اللجنة ويقف أمامهم النفى فيقول له أحدهم : « كم تملك يا مولانا ؟ » فيقول : « ألف فدان ، ونحو مائتى ألف جنيه فى المصرف وعمارتين — كلا منهما ذات سبع طبقات فى شارع الملكة نازلى » فيقول أحد الأعضاء « وماذا تصنع بكل هذه الثروة » فيقول « أه لا أصنع شيئاً . . . كل ما زاد على حاجاتى الضرورية جدا أضيفه إلى المدخر » فتقول اللجنة : « شئ جميل . . . أهذا رأبك فيما ينبغي أن يصنع المرء بالمال ؟ . . . لا بأس . . . اسألوا أحمد (أى العبد الخاضع للطبع) ماذا يكفيه ؟ » فأقول رداً على

السؤال : « أوه .. يكفيني القليل .. خسون ألفاً .. كفاية ..
أعني مؤقتاً .. » فتقول اللجنة : « أحد هذا رجل يحسن انفاق
المال .. اعطوه ما يطلب » فأقبض المبلغ وأفرك يدي وأقول
« إذا سمحتم لي يا حضرات الأعضاء الموقرين فأني أستاذكم في
لفت نظركم الى رجل يعرف كيف يعطى ... بارع جداً في
الانفاق » فيسأل أحدهم « من هذا ... قل بسرعة » فأقول
« إنه المازني » فيقول « آه صحيح ! .. كيف نسيناه ؟ .. هاتوه
حالاً .. علينا به .. اقبضوا عليه في حينما تجددونه » فيقبض
عليك الشرطة ويجبرونك مصفدا الى اللجنة فيضحك الأعضاء
ويقولون « خذ .. خذ .. خذ أيضا » فتخرج مي مسرورا ..
وزروح تنفق باليمين والشمال حتى يحين موعد الامتحان التالي ..
ما قولك ؟ »

فقلت وأنا أضحك : « شيء عظيم جدا ... ولكن الى أن
يتيسر أن تلي أمور الناس ماذا نصنع ؟ »

فقال : « آه هذه هي المسألة .. ما رأيك أنت »

قلت : « يمكننا أن نكسب الورقة الأولى الراجعة من بانصيب
المؤاساة ، أو البانصيب الارلندي »

قال : « هذا ممكن .. ولكن ذلك يتطلب أن ننتظر بضعة
شهور .. والعجلة من الشيطان ، ولكنه لا معدى لنا عنها —
كأنته ما كانت منه .. شيطان أو غير شيطان .. سيان .. »
قلت : « صدقت .. يمكن أن نخترع شيئا ونحتكر بيعه —
وصنعه بالطبع — فنفتي »

قال : « صحيح ... فكرة لا بأس بها ... سأدون هذا في
مذكرتي .. تنفع في المستقبل .. وعلى ذكر ذلك ماذا نخترع ؟ »
فقلت : « باب الاختراع واسع .. واسع جدا .. مثلا
نخترع طريقة تجعل السيارات تستغنى عن البنزين وتكتفي بالماء
— أو حتى بالهواء — أو نخترع بديلا من النقود ، فان النقود
هي أصل البلاء في هذه الدنيا ... أو نخترع ... »

قال : « يكني ! يكني ! ولكن هذا كله يحتاج الى زمن .
والمطلوب هو الاهتمام الى وسيلة تكفل إفادة المال اللازم في
أربع وعشرين ساعة ... »

فقلت وأنا اضطجع وأرسل الدخان من فمي خيطا متلويًا —
فقد فرغنا من الطعام — : « يظهر أن الضرورة تفتق الحيلة حقيقة »

فقال : « معلوم .. اسمع .. أترى هذا الرجل القاعد هناك
في الركن الأيمن ؟ أترى كيف يأكل ؟ أترى كرشه المدورة
كالكرة ، ووجهه المنتفخ ؟ وكيف يفتح عيناً ويغمض أخرى
وينظر حوله قبل أن يمس اللقمة في فمه كأنما هو يخشى أن يراه
أحد ؟ .. الحق أقول لك إنى أكره وجهه ولا أرتاح إلى النظر
إليه »

قلت : « يا أخى لا تنظر إليه .. دعه وحول عينك عنه »
قال : « ولكنى لا أستطيع .. إنه وجه سوء .. لا يمكن
أن يكون هذا الرجل من أهل الخير .. إنه ممن لا يؤمنون على
القصر والأبنام والأراميل .. »

فضقت به وصحت « ولكن مالك أنت ؟ دعه وشأنه ..
أليس له حق في أن يأكل هنا مثلي ومثلك ؟ »

قال : « يا أبه .. إن هذا الرجل لا بد أن يكون منطويا على
أسرار يكره أن تداع .. لأن وجهه ناطق بأنه شرير .. فلو قلت
إليه الآن وقلت له : « طيب .. طيب » كأنى أعرف سره الذى
يجاهد لاختفائه ألا تظن أنه يفزع ويضطرب ويشترى سكوتى
بأى ثمن .. »

فقلت : « أها ؟ .. أهذه طريقتك ؟ .. أتريد أن تبتز المال من
الناس بهذه الوسائل ؟ .. »

قال : « المصيبة أنى لا أستطيع .. تنقصنى الشجاعة ..
ولكنى واثق أنى أنجح إذا استطعت أن أصنع هذا ؟ .. ومع
ذلك لكل إنسان سره القبيح .. ولو أن واحداً جاء إلى ووقف
على رأسي الآن وحدق في وجهي ثم هن رأسه هنزة العارف بكل
ما هناك ثم قال « طيب ! طيب ! يا أحمد » لما وسعنى إلا أن
أضطرب .. على كل حال يظهر أنه لا فائدة .. لا أمل في مال
كثير نفيده بالسرعة اللازمة .. »

قلت : « صدقت .. لا أمل »

قال : « خسارة .. سأظل أتحمس لأنى لم أجِد الشجاعة
الكافية للوقوف على رأس هذا المجرم — هو مجرم ولا شك —
وإبلاغه بميئى أنى لا أعرف باطنه كما أعرف ظاهره البادى لنا ..
خسارة .. نهايته

... تقوم ؟ »

قلت : « تفضل »